

وتضطرب الأسطورة فتجعل من الأندلس اسماً سابقاً لاسم إسبانيا ، وتجعل من هذا اسم ملك اجتاح شبه الجزيرة وملكها وعمرها ، هو : إشبان بن طيطش ، ولايجد القاص معنى يفهمه لكلمة إشبانيا ، فيوشها بشيء من التوابل تجعل من القصة شيئاً ذا نكهة ومذاق : « وذكر بعضهم أن اسمه أصبهان ، لأن مولده كان بها ، وأنه استحال في لسان العجم فأصبح إشبان»^(١٤) ، وهو استتاج ذكي تدعمه قوانين اللغات ، فالهاء حرف غير منطوق في اللاتينية والسين والشين والصاد متقاربة المخارج ، ويحل أحدهما مكان الآخر ، ولما كانت اللاتينية ، والإسبانية تبعاً لاتعرف صوت الصاد ، فلها تستعويض عنه عند نقل كلمة أجنبية إليها بأقرب الأصوات إليه مخرجا ، وهو الشين أو السين ، غير أن هذه الإشارة وإن اتسمت بالذكاء ، يقف التاريخ منها في الجانب المقابل ، ذلك أن المؤرخين العرب اعتمدوا في هذه القضية ، وتطورها قديم موغل في القدم ، على الرواية الشفهية وحدها ، يلتقطونها قصصاً من أفواه خيرة العامة ، أو حكايات من رجال الدين ، في بلد كان غداة الفتح متواضع الثقافة ، لايعرف التدوين كتابة في الورق ، أو حفراً على الصخر ، إلا نادراً ، فاختلطت عليهم الأمور ، ووقعوا في الخطأ حين أسرفوا على انفسهم في الاستتاج . لأن كلمة أصبهان Saphan ، التي يشيرون إليها ، فينيقية الأصل ، ويظن فعلاً أن كلمة إسبانيا مشتقة منها^(١٥) ولكن لاصلة لها بكلمة « أصبهان » اسم المدينة الفارسية ، ولقد اختلط عليهم الأمر ، فمضوا مع القصة إلى نهايتها : الملك اسمه أصبهان ، لأنه ولد في هذه المدينة ، وباسمه سمي شبه الجزيرة لأنه ملكها ، واستحال في لغة العجم إلى إشبان . إن اسم إسبانيا أقدم بكثير من مجيء أصبهان إلى الحياة .

ومضى المقرئ في « نفع الطيب » ، نقلاً عن ابن حيان في « المقتبس » : « ذكر رواية العجم أن الخضر عليه السلام وقف على إشبان المذكور ، وهو يحرق الأرض بفقدن له أيام

(١٤) انظر :

- الحميري : الروض المطار ، ص ٢ .
- أبو عبيد البكري : المسالك والممالك ، ص ٥٨ .
- المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ص ١٤٢ ، طبعة مجي الدين .